والدها اغتيل امامها حين كانت بعمر ثلاث سنوات... وذهبت للجنوب لتفهم نفسها

ريما مكتبي: صوت طفل في الرابعة يتألم لبكاء امه ما زال يرافقني

بيروت ـ «القدس العربي»
ـ من زهرة مرعي:

عندما كانت ريما مكتبي تقدم برامج المنوعات والترفيه على قناة المستقبل لم يخطر في بال المشاهدين أنها ستكون يوماً مراسلة في وسط حرب ضروس. لكن الأمر حصل وكانت ريما في إنتقالها إلى قناة «العربية» تخوض تجربة المراسلة في لبنان. وعندما وقع عدوان 12 تموز (يوليو) كانت ريما على جبهتي الضاحية الجنوبية أولاً ومن ثم في جبهة صور الحامية لأكثر من أسبوعين متواصلين.

مع ريما مكتبي كان هذا الحوار حول تجربتها:

■ غطيت العدوان على لبنان كمراسلة لتلفزيون العربية من أين إستمديت الشجاعة؟

■ طبعاً من الإيمان بمهنتي التي إخترتها عن قناعة، ومن حبي لملاحقة الخبر، ومن خلال فضولي المهني ورغبتي بأن أكون مراسلة محترفة. وإستمديت شجاعتي من الإيمان بالله أولاً وأخيراً.

■ مشاركتك في تغطية حرب تموز من صور بعد بيروت هل كان قراراً ذاتياً أم إدارياً؟

■ كان الوقوف على مشارف الضاحية جزءاً من الحرب بالنسبة لي، والجزء الأكبر كان في الجنوب وكان من الضروري أن أكون هناك. ترددت لبعض الوقت قبل حسم قراري الذاتي بالإنتقال إلى صور وأستغرق هذا التردد فترة قبل الظهر. حسمت أمري وإتصلت هاتفياً بوالدتي لأبلغها الأمر فلم تكن «ممنونة» لكن الخيار النهائي هو لي.

■ لماذا هذا الإصرار على التواجد في مكان الخطر؟

■ كنت بحاجة لهذه التجربة الشخصية أنا التي عشت الحرب اللبنانية بمختلف فصولها وشهدت في طفولتي وقبل أن أبلغ عمر الثلاث سنوات إستشهاد والدي داخل المنزل إغتيالاً وأمام أعيننا. جزء يسير من رميي لنفسي في الخطر كان بهدف شخصي وكي أفهم ما حصل معي. في الجنوب إكتشفت معنى الموت. أما على الصعيد المهني فكنت أشعر بأن تجربتي ستبقى مجتزأة إن لم أكن في الجنوب، فذهبت.

■ ما الفرق بين التواجد على مشارف الضاحية وبين صور وبالتالي كل الجنوب؟

■ على الصعيد الجغرافي الضاحية مدينة محدودة المسافة وما حصل فيها بات بعد أيام مشهدا مكررا، في حين أن صور تعني كل الجنوب حيث كانت الجبهة الأساسية.

■ هل إنعكست الأوضاع الإنسانية المؤلمة في الجنوب على نفسيتك وبالتالي على تغطيتك للخبر؟

■ بالتأكيد وخاصة في العشرة أيام الأخيرة حيث كنا في مدينة صور كما معظم المواطنين مقطوعين من المواد الأساسية وصار الخبز قليلاً وتحول طعامنا إلى المعلبات، وصرنا نخشى الإنقطاع من البنزين. تأثرنا نفسياً لأن الوضع الإنساني للمواطنين الذين بقوا صامدين في المنطقة تدهور أكثر وهذا بالطبع إنعكس على أخبارنا وتغطيتنا للحدث.

■ هل كانت لك معرفة جغرافية بمنطقة صور قبل أن تقصديها؟

■ المعرفة الجغرافية بالمكان تسهل العمل أكثر. لم تكن مهمتي الأولى في المنطقة سبق وقصدتها في مهمات أخرى قبل الحرب، لكن زملائي في فريق الجزيرة كانوا على معرفة واسعة بمناطق الجنوب فسهلوا عملي كما هو مطلوب.

■ هل كانت ثمة خصوصية للخبر الآتي من صور ومناطقها؟

■ بالتأكيد. الخبر من تلك المنطقة سيطرت عليه صور النازحين والطرقات المقطعة أوصالها. كذلك الجرحى والمستشفيات التي تملك إمكانات محدودة وفي المقابل تتلقى حالات وعددا كبيرا من الجرحى. إضافة إلى أخبار المواجهات العسكرية والإحتلال والحصار.

■ في الأيام الأخيرة من العدوان منعكم العدو من التجول بالسيارات جنوبي الليطاني هل نفذت القرار أم تحايلت عليه؟

■ تحايلنا على القرار وغادرنا الإستراحة حيث المقر الإعلامي ومعنا فريق إعلامي أجنبي في جولة على أحياء صور سيراً على الأقدام وأعطينا تقريراً عن مشاهداتنا.

■ هل من مشهد في هذه الحرب آلمك جداً ولا يزال منغرساً في ذاكرتك؟

■ كل هذه الحرب مؤلمة للغاية. في أحد أيام منع التجول بالسيارات قصدنا معروب برفقة الصليب الأحمر حيث كان القصف ينهمر قريباً منا حتى أن الصليب الأحمر طلب من الإعلاميين الإبتعاد عنه مسافة كيلو متر ليحمي نفسه. وصلنا إلى أرزون حيث وجدنا رجلاً عجوزاً من دون طعام منذ ثلاثة أيام، والهلع أصاب العائلات وكانت أم تحمل طفلها وتبكي وهو يقول لها «حرقتيلي قلبي يا أمي» وهو لا يتعدى عمر الأربع سنوات. صوته لا زال يرافقني.

■ هل بكيت في تلك اللحظات؟

■ أكيد بكيت، إنها مشاهد إنسانية مؤلمة للغاية.

■ هل تتأثر موضوعية المراسل عندما يكون الحدث على علاقة وثيقة بناسه وأرضه؟

■ وجدت نفسي في حال من التحدي بضرورة الحفاظ على الموضوعية، ومن جهة أخرى بضرورة أن أوظف عاطفتي بالطريقة الصحيحة.

■ ربما كنت الوحيدة كفتاة مراسلة في صور فهل كان الزملاء على تعاون معك؟

■ في العشرة أيام الأخيرة كنت والزميلة منى فرح من القبس الكويتية لأن كافة وسائل الإعلام تقريباً سحبت مراسلاتها. كنا مع الزملاء كما الإخوة تماماً.

■ وجود المراسلات كان لافتاً في هذه المعركة فهل أثبتن حضورهن برأيك؟

■ بقوة كبيرة من أول يوم وحتى إلى ما بعد وقف إطلاق النار.

■ هل تهتم المرأة بخصوصيتها وهي على الجبهة من ماكياج وما شابه؟

■ في الأساس لست هاوية ماكياج أوافق والخوف خلال الإنزال الإسرائيلي في منطقة صور. وشعرنا بالخطر عندما صعدنا إلى بلدة معروب حيث كان الدفاع المدني يحاول رفع الأنقاض عن رجل وعائلته بعد إصابة منزلهم بالقصف. لقد عشنا أوقاتاً لا يمكن نسيانها.

■ بشكل دائم تقريباً كنا نشاهدك ترتدين الدرع والواقي فهل كان يشعرك بالحماية؟

■ في مثل هذه الحرب لاشيء يحمي غير رب العالمين. صواريخ الطائرات كانت في كل مكان فماذا سيفعل الدرع الواقي. في الحقيقة في أغلب الأحيان كنت أرتديه كي تطمئن والدتي فقط فأنا على يقين أن ساعة موتنا عندما تحل فلن يردعها الدرع الواقي.

■ كثيراً ما تقاسمنا الخبز والجبن الذي كنا نحمله في العادة مع الناس المحاصرين الذين كنا نلقاهم يحتاجون لمساعدة.

■ وهل شعرت بقرب الخطر وأنت في الجنوب؟

■ أكثر من مرة. شعرنا بالخطر والخوف خلال الإنزال الإسرائيلي في منطقة صور. وشعرنا بالخطر عندما صعدنا إلى بلدة معروب حيث كان الدفاع المدني يحاول رفع الأنقاض عن رجل وعائلته بعد إصابة منزلهم بالقصف. لقد عشنا أوقاتاً لا يمكن نسيانها.

■ بشكل دائم تقريباً كنا نشاهدك ترتدين الدرع والواقي فهل كان يشعرك بالحماية؟

■ في مثل هذه الحرب لاشيء يحمي غير رب العالمين. صواريخ الطائرات كانت في كل مكان فماذا سيفعل الدرع الواقي. في الحقيقة في أغلب الأحيان كنت أرتديه كي تطمئن والدتي فقط فأنا على يقين أن ساعة موتنا عندما تحل فلن يردعها الدرع الواقي.

■ ما هي الخبرة التي جنيتها من هذه التجربة؟

■ إنها خبرة متنوعة شخصية وإنسانية ومهنية ولا يمكن إختصارها بكلمات.

■ هل لديك رد على مراسل الدايلي تلغراف الذي قال في أحد تقاريره بأن الأقنية العربية إستعانت بالنساء كمراسلات لجذب المشاهدين؟

■ كنت أتوقع منه كرجل غربي أن يكون لديه إحساس لبيرالي نحو المرأة. لكني أسأله رأيه بالمراسلات الأجنبيات اللواتي كنّ كثيرات في لبنان وعلى الجبهات؟ لهذا المراسل أقول بأن المصداقية هي في الخبر وليس في جنس من يقدمه .

■ ماذا ستحملين من ذكريات عن هذه الحرب وهل لك موقف منها كلبنانية؟

■ الذكريات كثيرة منها المؤلم ومنها الجميل كمثل مساهمتنا كفريق عمل في قناة العربية في جمع شمل طفلة بذويها. موقفي من هذه الحرب هو رفضها لأنها أعادتنا عشرين سنة إلى الوراء.

ريما مكتبي (القدس العربي)

يقول بانه ليس على استعداد للتنازل عن آرائه

حمدي احمد: اكتويت بنار السياسة وضاع مستقبلي الفني ولم اتاجر بالسجن كما فعل الاخرون

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من عمر صادق:

الفنان الكبير حمدي احمد نموذج للفنان المثقف الذي اكتوى بنار السجن بسبب مواقفه السياسية ومعاداته للنظام.

يرى في نفسه انه ما زال بطلا واعماله على قلتها تمثل رسالة سامية لها قيمها داخل المجتمع، ويرى ايضا ان الفن والسياسة وجهان لعملة واحدة والفنان لا بد ان يعبر عن مشاكل المجتمع اذا لم يكن يمتلك حسا سياسيا تحول الى مهرج!

قدم للشاشة الصغيرة منذ عام 2002 وحتى 2006 مسلسلين فقط ويصور حاليا مسلسل «الجبل» سألته عن اسباب هذا التقشف.. وهل هي حرب تشن ضد كل فنان يتخذ مواقف معارضة يقول انا ادفع الان ضريبة ارائي وافكاري وتوجهاتي السياسية وبسببها دخلت السجن واكتويت بناره وضاع مستقبلي الفني ومع ذلك لم استغل فترة سجني للدعاية لنفسي كبطل قومي كما فعل بعض الزملاء الذين استثمروا فترة السجن وظهروا للناس والرأي العام على انهم وطنيون مخلصون للبلد.

■ هل تسببت فترة استبعادك عن الدراما في احساسك بعقدة الاضطهاد؟

■ بالعكس فترة سجني زادتني ثقة بنفسي وبمبادئي وافكاري ولم تولد عندي اي احساس او شعور بعقدة الذنب او الاضطهاد.

■ كيف دفعت ضريبة عملك السياسي؟

■ من رزقي واكل عيشي فأنا لا اعمل بالتلفزيون الا كل فترة طويلة بدليل انه خلال 4 اعوام لم اقدم سوى مسلسلين رغم تاريخي الفني الطويل فأنا كنت وما زلت بطلا منذ 45 عاما واعتز بكل ادواري التي قدمتها واعتبرها بصمة مهمة في مشواري الفني وتاريخ الاحداث السياسية والقومية التي مرت بها مصر عبر سنوات طويلة.

■ بمناسبة فيلم «القاهرة 30» الذي لعبت بطولته.. معظم النقاد اشاروا الى شخصية محجوب عبد الدايم التي لعبتها بالفيلم بانها قاتلة لمثليها؟

■ من قال هذا لم يفهم دلالات الفيلم او الشخصية، شخصية محجوب عبد الدايم تمثل ادانة لمجتمع ظالم يرفض اعطاء الفرص المتساوية لابنائه ويكيل بميكالين والنقاد لم يفهموا القضية والمغزى من الفيلم ودور محجوب عبد الدايم تحديداً.

■ تعاملت عبر مشوار فني طويل مع نجوم كبار في الاخراج والتأليف وغيرها، من ترك بصمة بداخلك؟

■ كثيرون، نجيب محفوظ وصلاح ابو سيف على المستوى الفني.

■ وماذا عن المستوى خارج الوسط الفني؟

■ لم يؤثر في احد.. فأنا فنان مثقف بنيت نفسي بالقراءة والاطلاع وحفرت لي اسما معروفا في الفن والكتابة عبر الصحف وهذه القراءة افادتني كثيرا على مستوى التفكير والسياسة والادراك وغيرها.

■ كيف ترى علاقة الفن بالسياسة؟

■ لا يمكن فصل الفن عن السياسة كلاهما يكملان بعضهما البعض او قل انهما وجهان لعملة واحدة، الفن يعبر عن قضايا المجتمع ويعيش لحظات انتصار وانكسار الوطني ولا بد ان يكون الفنان على المستوى السياسي اللائق الذي يعبر عن افكاره وتوجهاته.. واذا فشل في التعبير عنها يصبح اشبه «بالبلياتشو»!

■ هل حلمت يوما ما بالعالمية؟

■ العالمية لم تكن ضمن احلامي.. انا اجتهد للتعبير عن قضايا وطني وامتي اما لو سعيت للعالمية فأنني سأبحث عن الشهرة والاضواء والمال وسأنسى القضية التي احتفظ بها بداخلي كفنان وهي اوجاع الوطن الام.

■ ماذا ينقص المسرح؟

■ كثير جدا.. الاخلاص والنصوص المحترمة التي تناقش اوضاع الوطن بدلا من شغل اوقات حياتنا باعمال تتناول ثقافة الجنس والعري.. فهذه اعمال لا محل لها من الاعراب لانها تافهة وهزيلة ولا تضيف مضمونا للمشاهد العادي الذي يبحث عن اعمال جيدة ومحترمة.

■ الشهرة العالمية والاموال الضخمة تسيل لعاب اي فنان؟

■ لكنها لا تسيل لعابي.. فلست في حاجة الى شهرة او اموال ولا اسعى اليهما، ربما تكون محط انظار فنانين اخرين لكنها على اي حال لا تثير اهتماماتي ولا اريدها ولا احب الكلام عنها.

■ ما رأيك في اداء حسن نصر الله كزعيم سياسي؟

■ صاحب قضية لا بد ان يدافع عنها بالروح والدم.. وانا ضد من هاجم اداء هذا الرجل فهو يمثل عزة وانتصارا للعرب على الكيان العبري.

■ هل من الممكن ان تتنازل عن آرائك السياسية مقابل ان تفتح امامك آفاق العمل الدرامي؟

■ من الصعب ان اتنازل عن افكار انا مؤمن بها.. وعشت وفيا سنوات طويلة من اجلها وتحملت السجن والاغتراب فمن يعش قسوة السجن يحس ان الحياة بلا طعم او لون، ولست على استعداد ان اضحي بمبادئي من اجل تمثيل عدة اعمال، لان المبادىء لا تشترى ولكنها تحترم.

يؤجل تصوير احدث اعماله حزناً على رحيل صديق عمره

كمال الشناوي: فؤاد المهندس الوحيد الذي اضحكني من القلب

القاهرة ـ «القدس العربي» :

يعيش الفنان الكبير كمال الشناوي حالة حزن بعد رحيل توأمه وصديقه الفنان الكبير فؤاد المهندس ولم يتمالك الشناوي نفسه عندما علم بخبر رحيل صديق عمره وراح في نوبة بكاء وعويل طويلة على وفاة الفنان الراحل منذ ايام.

يقول الفنان كمال الشناوي عن رحلة العمر والفن مع صديقه الراحل فؤاد المهندس بانها رحلة طويلة مليئة بالنجاحات في عالم الاضواء، وانهما اشتركا في العديد من هذه الاعمال التي لاقت اصداء طيبة جماهيريا. ويضيف: فؤاد المهندس لم يكن زميلا فقط نلتقي في الاستديو من أجل التصوير ولكن علاقتنا امتدت الى صداقة قوية وفؤاد الانسان والفنان والصديق من الصعب تعويضه بهذه السهولة خاصة في هذه الايام التي خلت من الخل الوفي.

■ كيف ترى اهم الصفات التي كان يتحلى بها استاذ الكوميديا الراحل فؤاد المهندس؟

■ صفات عديدة لا يمكن حصرها كان حلو المعشر واللسان لا ينطق الا الصدق ولا تعرف حياته الكذب او شهادة الزور نشأ في بيت ديني وتربى على القرآن والاحاديث وتشبعت شخصيته بهذه البيئة التي لعب فيها والد الفنان الراحل الدور الاكبر والأهم في حياته وشخصيته.

■ ما حقيقة ما تردد بانك طلبت تأجيل تصوير احدث اعمالك الفنية حزناً على رحيل الفنان فؤاد المهندس؟

■ انا بالفعل اعيش حالة صعبة الآن بسبب رحيل فؤاد «وما عنديش نفس» للشغل واحتاج مزيدا من الوقت حتى اخرج من هذ الحالة.

■ ماذا تقول بعد رحيل ووداع الفنان فؤاد المهندس؟

■ ليس عندي كلام اقوله في هذه المناسبة سوى ان مصر فقدت انسانا وفنانا وصديقا للجميع. من الصعب تعويضه وفؤاد شخصيا هو الفنان الوحيد الذي يضحكني من القلب.

■ بعيدا عن اجواء الحزن العام الذي تشهده الساحة الفنية برحيل ابرز فنانيها اسألك عن سر تألقك الدائم عبر رحلة تمتد لاكثر من 50 سنة؟

■ انا اعتبر نفسي فنانا هاويا برغم هذا المشوار الطويل، والهاوي يعمل المستحيل دائماً لاثبات جدارته واحقيته لن اذيع سرا اذا قلت انني رغم هذا العمر وهذا المشوار اتعامل مع الدور الجديد مثل ـ صحافي تحت التمرين ـ لحين اكتساب الخبرة والخبرة الطويلة اكتسبتها ليس بالصدفة او الكلام ولكنه طريق صعب ووعر في بعض الاحيان والتمثيل ليس الكلام المكتوب فقط ولكنه تراكمات ثقافية واجتماعية وعلاقته بالمجتمع والناس وعدم الانفصال عن الواقع وغير ذلك هراء وكلام اقرب الى الثرثرة.

■ بداياتك الولد الشقي خفيف الظل كيف تقيم هذه المرحلة؟

■ ادوار الولد الشقي التي قدمتها في بداية حياتي ليس فيها عمق في الاداء عكس الآن الجملة لها تعبير وكل حرف له مغزاه ومعانيه.. زمان لم اكن ادرس الشخصية جيدا.. الآن الوضع تغير حيث اعيشها جيدا وادخل في تفاصيلها لدرجة الاندماج.

■ معروف ان الفنان الكبير كمال الشناوي خريج كلية الفنون الجميلة هل ساهمت دراستك في التعمق في الشخصية؟

■ دراستي للفنون الجميلة علمتني الا اخلط الالوان مع بعضها ولكن كل لون له رونقه وشكله والفن التشكيلي جعلني اتعمق في الشخصية عندما اعمل «برونزيه» لأي شخص وبمجرد النظر في عينيه اعرف مفاتيح شخصيته.

■ رغم انك نجم سينمائي الا انك تتعامل معها بحسابات فما السبب؟

■ يجب ان نعترف اننا كجيل ليس لنا ادوار فيها وما قدمته في الماضي لا استطيع ان اقدمه حاليا.لان لكل جيل حلاوته ورونقه وتألقه.. فمثلا انا قدمت اللون الكوميدي في فيلم «طأطأ وركا» لا استطيع النهاردة ان اقدم الكوميديا لاسباب عديد واختلاف المناخ.

■ برغم نجاحك وتألقك عبر مشوار يمتد لاكثر من نصف قرن الا ان العلاقة بينك وبين النقاد ليست على ما يرام فما السبب؟

■ لا افهم ماذا يريد النقاد؟

هل يريدون ان اقدم عملا لا يفهمه الناس؟ اذا كان هذا وجهة نظرهم فأنا ارفضه لان الفنان لا ينجح الا بالناس الذين يقدمون له «صك النجومية» واعتقد انني نجحت بهم ومعهم وبفضل الله اولا وسوف استمر وربما يحالفني القدر في المستقبل ويرضى عني النقاد.

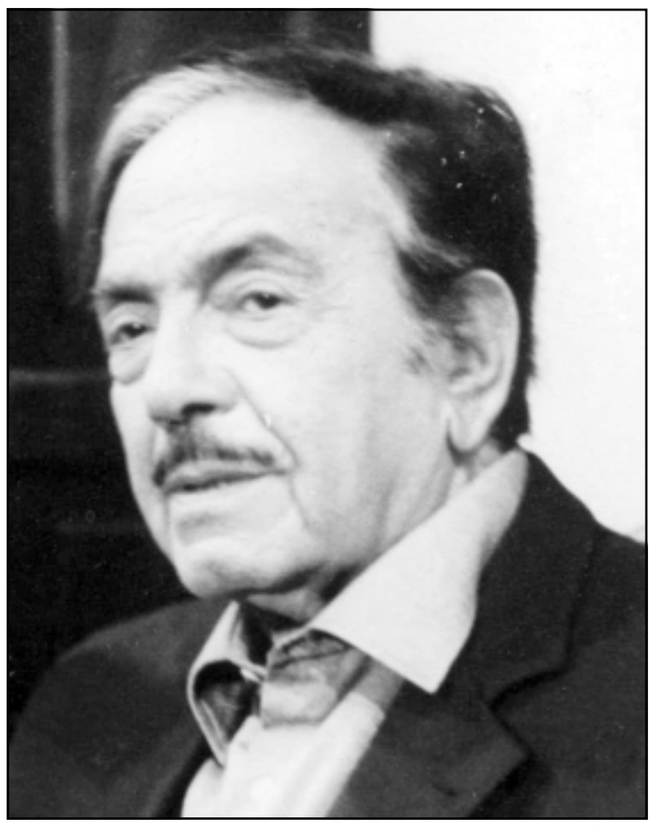

كمال الشناوي

فضائيات

على «المحور» حصريا: مؤتمر الحزب الحاكم في مصر طحن بلا طحين!

سليم عزوز*

■ ذكرني الحزب الحاكم في مصر بالنكتة الشائعة التي تقول ان (واحد بلدياتنا) رأى أعضاء اللجنة المكلفة باستطلاع هلال رمضان، وهم ينظرون إلى السماء بحثا عنه، وكان واضحا أنهم ظلوا فترة طويلة في عملية البحث والتحري، فأخذ من احدهم موضح الرؤية، وعثر على الهلال من أول نظرة، وعندها صفق له القوم، ومنحوه جائزة معتبرة، فما كان منه إلا أن نظر إلى الناحية الاخرى، وأشار باصبعه وقال: وهذا هلال آخر!

فالحزب المذكور رفع في العام الماضي شعار: (الفكر الجديد، والانطلاقة الأولى نحو المستقبل) وأقام للشعار زفة إعلامية، قبل مؤتمره السنوي، حتى ظن البعض ان قياداته سيعملون الهوايل، وسيأتون بالذئب من ذيله، وربما انطوت الدعاية على أصحاب الحزب، فتصوروا ان الشعب (أكل الاونطة)، وانطلى عليه الوهم، فما كان منهم في هذا العام إلا ان رفعوا شعار: (الفكر الجديد، والانطلاقة الثانية نحو المستقبل)، وهكذا في كل عام انطلاقة جديدة، لكن من الواضح ان انطلاقتهم تركب الناقة، بدليل اننا نعيش في أجواء الانطلاقة الثانية، ومع هذا فإننا لا نرى شيئا ملموسا تحقق على الأرض.

لقد قام الحزب المذكور في هذا العام بدعاية ضخمة، في كثير من القنوات التلفزيونية، قبل انعقاد المؤتمر العام السنوي، ووصلت الدعاية الى قناة (روتانا)، وهي دعاية يحار المرء في فهم أسبابها، فهي ليس لها مبرر واحد، سوى ان القوم يريدون ان (يفرحوا)، فلا أظن ان هناك قيمة يمكن ان تعود على الحزب لمجرد ان هناك إعلانا، يذاع ليل نهار، يفيد حضرات السادة المشاهدين، بموعد انعقاد المؤتمر وشعاره، وكيف انه يمثل انطلاقة نحو المستقبل. ولا شك ان الاستخدام المبالغ فيه لكلمة (المستقبل) منذ ان قرر السيد جمال مبارك اقتحام الحزب الحاكم تحت راية (الفكر الجديد)، حولتها إلى كلمة مبتذلة، وجعلتني لا ارتاح حتى لتليفزيون المستقبل اللبناني.

مؤتمر (المحروس) خالد الذكر الحزب الوطني، ليس اجتماعا جماهيريا، حتى تتم الدعاية له على هذا النحو، فهو مقصور على أعضائه، الذين تم شحنهم من كل فج عميق بأنحاء القطر اليه، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الحزب في أيام معدودات، وبالتالي فانه لا معنى للدعاية، والتي وصلت الى قنوات (الهشك بشك)، الا ان القوم هدفوا الى دفعنا للحلم، وقد ورد في الأثر: ان الجائع يحلم بسوق الخبز، ولهذا فان هناك من تصوروا ان هذا المؤتمر سيشهد تكريسا للإصلاحات بشكل جاد، فضلا عن ان الذين ينامون ويستيقظون على كلمة (التوريث)، ظنوا ان عملية التوريث قد بدأت، وان قرارا سيتخذه المجتمعون باعتبار جمال مبارك مرشح الحزب الحاكم في الانتخابات الرئاسية القادمة، التي ستكون قبل آخر هذا العام.

ولان واحدا مثلي يتصور العمى، ولا يتصور الأستاذ صفوت الشريف، لأنني احقد عليه لشياكته، وألوان بدله وقمصانه (المزهزهة) بألوان الربيع، على الرغم من انه بلغ أرذل العمر، في حين انني أقول بحسن الختام مع انني في سن أحفاده، فقد ظننت ـ يا قراء ـ ان المؤتمر سينتج عنه ركن المذكور على الرف، وليكن بمنحه منصب نائب رئيس الحزب، ليصبح جمال مبارك أمينا عاما، وعلى الرغم من ان البعض كان سيعتبر هذه خطوة إلى التوريث، ويدق طبول الحرب، ويحرض المصريين على النضال، إلا انني كنت سأعتبر ان قضاء اخف واحن من قضاء.

فأهم شيء عندي ان ينسحب صفوت الشريف من المشهد، ولو الى الدار الآخرة، وبعد هذا فان كل الأمور مقدور عليها، ومن الاخر، فأنا لم أصب بعد بارتكاريا التوريث، وإذا كان الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل قال في مقابلة مع قناة (الجزيرة)، ان التوريث، وحسب معلوماته الفتاكة، سيبدأ في ايلول (سبتمبر) من هذا العام.. قالها منذ عدة شهور، فقد قلت وأنا وفي بطني شادر من البطيخ الصيفي (كناية عن الاطمئنان الشديد)، في اتصال هاتفي مع قناة (المستقلة) انني استبعد هذا. وإذا كانت المياه، كما يقولون، تكذب الغطاس، أي مدعي الغطس، فها هو شهر ايلول (سبتمبر) يوشك على الرحيل، دون ان تبدأ عملية (التوريث)، وأستطيع ان أقول وأنا هادئ الأعصاب ان الرئيس مبارك سيكمل دورته الرئاسية، أي حتى عام 2011، ومن يرفض هذا الكلام فليدخل معي في رهان، مع أني استمعت الى داعية فضائي يقول ان الرهان حرام.

في (المستقلة) قلت مع احترامي للأستاذ هيكل فانني لست على استعداد لان اجري وراء كل كلمة يقولها، وان كان كلامه قد راق للبعض من الذين جعلوا قضية التوريث هي شغلهم الشاغل، وهم يتعلقون في أي تصريح، او كلمة، او أمنية، من هنا او هناك، تؤكد انه على الأبواب، وتؤكد صحة ما يعتقدون، ليرفعوا رايات النضال، مع ان ارض الله واسعة، والقضايا التي تستحق ان يوجه النضال لها على (قفا من يشيل)، وأكثر من الهم على القلب، وان كان التهجم على الرئيس ونجله مغريا، لأنه يؤكد شجاعة المتهجم، مع انه من المعلوم بالنضال بالضرورة انه نضال مجاني، فقد تهاجم مبارك الأب، ومبارك الابن، دون ان يقول لك احد: بم، لكن هناك مراكز قوى في البلاد، لو اقترب منهم المرء فقل عليه يا رحمن يا رحيم، ومن ينبئك مثل خبير.

أولى القضايا التي تستحق النضال الجهيد هي البحث عن بديل تجمع حوله القوى الوطنية، بدلا من لعن الظلام، لأنه ومع احترامي للجميع، فان الذين يرفضون التمديد، والتوريث، وأنا معهم بالباع والذراع هنا، لم يطرحوا بديلا، ولم يفكروا حتى في إعداده، وتسويقه، فقد أكدت انتفاضة الشارع المصري ان فكرة الفوضى الخلاقة، التي أشاعتها الحيزبون كوندوليزا رايس، وثورة المصريين، هي حلم لن يتحقق، فالمصريون يتمردون بطريقتهم، ويردون على أهل الحكم بالشكل الذي يرونه عمليا، تماما كما ردوا بإسقاط مرشحي الحزب الحاكم في الانتخابات البرلمانية، ولم يستطع ان يحقق الأغلبية إلا بضم المستقلين، الذين خرجوا على طوعه، وترشحوا ضد مرشحيه. كما ردوا على ذلك بمنحهم المرشح الوحيد الجاد في الانتخابات الرئاسية الدكتور ايمن نور أصواتهم، حيث حصل على 600 ألف صوت، وهو رقم ضخم، مع غياب الإشراف القضائي، وعدم كفاية فترة الدعاية الانتخابية، وانحياز أجهزة الدولة إلى مرشح الحزب الحاكم، وعزوف الجماهير عن المشاركة، لعدم ثقتها في العملية الانتخابية برمتها، ومع ان حزب نور وليد، وتعرض للقضاء عليه بعد شهور من ولادته.

المهم يا حضرات، فقد ابدى قادة الحزب اندهاشهم، لان هناك من رسموا خططا معينة لهذا المؤتمر مع انه مجرد مؤتمر سنوي لا اكثر، وهو اندهاش مصطنع، فقد كانت الشائعات تتناثر في الشارع دون ان يردوا عليها، وربما كانت تسعدهم لأنها ستجعل الناس تتعلق عيونهم بهم، ولعل سؤالا يطرح نفسه الآن: اذا كان المؤتمر عاديا للغاية، فلماذا هذه الدعاية المبالغ فيها، والتي وصلت الى قناة (روتانا) شخصيا.. مع ان الأولى بها هي قناة (الجزيرة)، واذا كان هذا سيمثل اعترافا بقيمتها، وأهل الحكم في مصر مؤمنون ان الريادة لم تغادر الديار المصرية، فان قناة (الإخبارية) هي الاولى، لأننا نعتقد ان الحزب الحاكم يعلن عن مؤتمر سياسي، وليس عن ملهى ليلي!

فرح العمدة:

■ لقد بلغ من حجم التضليل الدعائي، ان القناة التي كان بث وقائع المؤتمر من حظها ونصيبها، نشرت إعلانات في الصحف السيارة، تؤكد أنها هي وحدها صاحبة هذا الحق التاريخي، فهي ستبث المؤتمر(حصريا)، ومن خلالها هي فقط، سنكون في قلب المؤتمر السنوي الرابع للحزب الوطني، وذلك مواصلة لدعايتها لنفسها والتي كانت قد بدأتها منذ شهور، تحت لافتة تطوير القناة، وقد وقفنا على أطراف أصابعنا في انتظار هذا التطوير، وبحلقنا في الشاشة لنشاهد هذه اللحظة التاريخية من تاريخ امتنا العربية، حيث ان القناة حملت إضافة الى اسمها تمثلت في ثلاث كلمات جبارة: وهي : قناة العائلة العربية!

وبعد (البحلقة) فوجئنا بأن الجبل قد (تمطع) فولد قناة (المحور)، ولا أنكر ان الشاشة في عهدها الجديد قد تغيرت، يكفي انه بجانب وجود التعريف سالف الذكر، فقد وضعت على اعلى الشاشة من اليسار (لوغو) المحطة، وهو عبارة عن ريشة مروحة، تشبه ريشة مروحة الغسالة، التي كانت هالة سرحان تجلس بجانبها، وهي تعلن عن مسحوق غسيل، قبل ان تعاملها فضائية الوليد بن طلال المفدى على أنها أفضل مذيعة في بر العالم الثالث، وقبل ان تستدعي الضيوف الذين يشيدون بنجوميتها، على النحو الذي فعلته شويكار، وبشكل ابتذلت فيه نفسها، وقبل ان تستأجر الجمهور الذي يصفق لها بغير مبرر في كثير من الأحيان، وكله على حساب صاحب المحل.

لقد كان الشيء الوحيد الذي استجد على شاشة (المحور) في مرحلة التطوير بالإضافة الى ما سبق، هو برنامج يومي يحمل اسم (تسعون دقيقة)، وهو نفس الاسم الذي يحمله برنامج تقدمه فضائية اخرى هي (الحوار). وهذا البرنامج يقدمه معتز الدمرداش، ومذيعة أخرى حضورها يشبه غيابها، وقبل كل فقرة ينتفخ معتز ويتضخم، ويقول سنقدم لكم فقرة ساخنة جدا، وعنيفة جدا، وصعبة خالص، وسوف تكسر الدنيا، وبعدها نشاهد حلقة هادئة، وضيوف يغالبون النعاس.

ولعل صاحب قناة (المحور) اكتشف بعد (فرح العمدة) الذي نصبه للقناة، انه لم ينجح حتى في منافسة قناة (دريم)، فرأى في بث مؤتمر الحزب الوطني ما يمكن ان يجلب له الريادة، وكانت أمامه فرصة تاريخية من خلال طرح جميع الآراء، لكنه اكتفى بنقل وقائع الجلسات التي يحضرها جمال مبارك، وفي أوقات الراحة يقوم ببث الأغاني الوطنية، كما لو كانت البلاد على أعتاب معركة فاصلة مع الأعداء. وذات مرة انتهت الجلسة، وجاء المذيع متلعثما، ومهزوزا، وواضح انه في (الاوله في الغرام)، واختفى لتظهر صورة مركز المؤتمرات من الخارج، ليعود لنا المذيع المتلعثم، ويحيطنا علما اننا سننتقل الى لجنة خاصة منعقدة، لكن الكاميرا نقلت صورة خاطفة لأناس يلملمون أوراقهم، ليظهر مرة اخرى ويخبرنا ان فلانا ـ يبدو انه مذيع زميل ـ (اجرى) ندوة، سننتقل إليها، مع ان الندوات لا تجرى ولكن تعقد، بعدها ظهرت صورة جمال مبارك وهو يصافح أعضاء المنتخب القومي لكرة القدم، وانتظرنا الندوة التي عقدها فلان فتم الانتقال الى اجتماع آخر حضره جمال مبارك أيضا.

عموما فقد كان مؤتمر الحزب الحاكم بمصر المحروسة هو طحن بلا طحين، وكانت الانطلاقة الثانية، مثل الأولى، فلا جديد تحت الشمس، وعليه فانني اعلن الان اننا دخلنا الانطلاقة العاشرة.. على بركة الله!

* كاتب وصحافي من مصر
azzoz66@maktoob.com

وارضيات